

الهيئة العامة لقصور الثقافة
أقليم القاهرة الكبرى وشمال الصعيد
ثقافة القاهرة

فتافيت الصورة

قصص

جمال الجزيرى

سلسلة
الإصدار
الأول
١٩



فتافيت الصورة

قصص

جمال الجزيري

أبريل ٢٠٠١

الهيئة العامة لقصور الثقافة
إقليم القاهرة الكبرى وشمال الصعيد
ثقافة القاهرة

سلسلة الإصدار الأول

المشرف العام
محمد سمير حسني

رئيس التحرير
د. مصطفى الضبع

مديرو التحرير
روكية راشد
فاروق المصري
ماجدة الكرداوي

تصميم الغلاف
سعاد عبد الله

رئيـــس الإقليـــم
أ . ســيد عــواد

المراسلات
٣٠ شارع شريف – القاهرة
تليفون : ٢٩٢٤٦٧٨
فاكس : ٢٩٢٩٤٨٢

مفتتح

"اللهم هبني أن أعرف، أن أعبّر، أن أعمل، أن أبدع، هبني القدرة على أن أحسن النهاية التي تصنع البدايات للآخرين، وأن أحسن البداية التي لا تنتهي بنهايتي".

محمود أمين العالم

"إن الفن الحقيقي ليس للزخرفة والجمال والتنميق والطرب، بل للشعوب وخدمتها وصلاحها، ولا خير في فن لا يختلط بالغمار الشعبية، ليعبر عن آلامها ومتاعبها .. وعن أمانيها وآمالها.. تلك مهمة الفنون في هذا الوقت، أما غير ذلك فعبث وهزل ولهو.. لا جدوى له ولا طائل.."

عثمان العنتبلى

علامات

- جهينة بسوهاج، مدينة تـنأى عن النيل والسكة الحديـد، لكنها لا تضرب بجذورها إلا في مائـه، ويعشق أهلها السفر.

- كلية الآداب بسوهاج، أصدقاء "أشـقياء" نتبـادل التـاريخ والجغرافيا، نأنس بالحكايات ورعشـات القلم، فتزول عنا عتمة الآداب.

- نهر النيل، ينساب في ألفة طازجة، يرخـي ألفتـه علـى ضفافـه ويبـوح بالأغنيـات لمسـامعنا وعيوننا العاشقة، فيلمـع العرفـان فـي عيوننا ونستنشق طينه.

- العقار ٣٩ ش أحمد حبيب، بين السرايات جيزة، أيام ألفة ولت، وحكايات ما مازالت تعج بـها كتابة وأساطير وفتافيت الصورة و.......

- كلية الآداب بجامعة القاهرة، قسم اللغة الإنجليزية، نـافذة نتواصل منها مع بعض البلـدان، فنمـد

أيادينا دون أن نفقد هويتنا أو يستهوينا الاغتراب وتفتت اللغة.

- العقار ٤ بعطفة عاصم، ميدان الجيزة، مكان فسيح تتقاطع فيه محافظات مصر ويلتقي فيه الأصدقاء يعلن كل منهم منهجه ما بين مسخور ومنظور وغب وعتبات نص وإستراتيجية مكان.

- قلعة صلاح الدين، مهرجان سنوي للموسيقى والغناء يخرجنا من أحزاننا، ويجمع ٥أجزاءنا المبعثرة في المحافظات، فنتوحد مع أنغام هذه العازفة أو تلك، نعيش في صوت هذا المطرب أو ذاك فنتوحد في ثنايا الوجود وعبقرية الخلق.

- المقاهي العتيقة الأليفة في السيدة زينب والسيدة نفسية، أماكن قريبة من القلب، تدخلنا في حوار مع التاريخ والماضي الجميل، فنخرج من

عتمة القاهرة إلى آفاق الآثار الصامدة في
الليالي الحالمة.

(يتبع)

علامات

? سيد درويش خالد الذكر فنان الشعب الذي خرج إلى الشارع وأنشد لقطات من الحياة المهمشة الثرية للشعب العريق ووصل بألحانه وأغانيه ولقطاته وصوره إلى قلوب العامة الطيبين.

? نزار قباني شاعر الجمهور العريض، من التقط الصور والمشاهد المسكوت عنها في الحضارة العربية ووصل باللغة الشعرية إلى أعلى قممها وأشعر جوانبها دون أن تغترب اللغة على مسامع الجمهور أو تفقد براءتها وطزاجتها.

? "صاحبنا" بطل رواية كتابة في ذكراه، على عهدك محافظون و على دربك نمشي. لا نرتكن إلى لغة شتت جمالها الاغتراب وأفقدها بريقها الحذلقة، ما زالت كلماتك في اتصالك الأخير "أنا بموت يا جمال" عالقة بأقلامنا، لم تمت

سيدي وسأثبت لك ذلك في النص الـــذي لـــم
يكتب .

? محمد عناني ومجلة سطور التي اكتسبت به طابعا عربيـــا
أصيلا لا يلهث وراء ما هو غربـــي يميـــت
الإنسان والفن والأدب والقوميات والجمال.

? هالة محمد عبد الرؤوف الجز يرى طفلة شابة تتعلم الحبو
على طريق القص والحكايات، وتشـــي بغـــد
طازج ولغة بريئة من تهم الحداثيين.

? رانيا أبو الطاهر عبيد الإشراقة الوحيدة في حياتي والنغـــم
الأوحد ولكنها ليست بمشهد ثان، معها تشـــوق
شمس الغد وتكتسب حميمية الحكايات معـــان
جديدة. كل ذرة من طمي النيل تبتســـم لـــك،
وكل نسمة في فضاء القلعة الفســـيح تنطـــق
باسمك.

? هدى شكرى عياد، النور الذي يشع إنسانية ويـــترقرق ودا،
تجد فيها جوهر الإنسان الذي لم تلوثه المـــدن،

ويأخذ بيد أي شعاع يبرق في سماء من يتعاملون معها.

? مصطفي الضبع إنسانا أصيلا وأديبا طازجا، وناقدا يحاول أن يبرز الضوء في عتبات النصوص حتى ندخل النص من أي عتبة شئنا، وأن يؤصّل للأماكن التي تنبت فيها النصوص كي لا تحلق في سماء دون أرض ولا تفقد قوميتها وتتوه في آفاق معتمة لـ(عولمة) زائفة.

في البدء

عـلامـــــــات

? جدي يعلمني الحكايات والحكى، أمي تحسسني كيف تكــون الحكايات أليفة مع مسامعي وكيف يتغاضى المرء عن أنانيتـــه وذاتيته من أجل الآخرين، أبى يشترى لي القلم، الطين يحتضــن جذور القصص والأقاصيص، يهبها جزءا من عراقته ورائحـــة الشعب.... يحس، يتألم فينصهر ويمسك القلم، يداعب به بيــاض الصفحات فتمتلئ بأريج الطين.

حكايات

كنا نتجمع حول راكية النار، نستدفئ وجدي – رحمه الله – يحكى لنا "حواديت" ألف ليلة وليلة..... نجلس في الصيف على "الحرام" أمام سور البيت نسمع حكايات كثيرة ...
بعد أن فرغت من قراءة مجلدات ألف ليلة وليلة لم أجد فيها "حواديت" جدي الزاخرة، ففكرت في كتابة حواديته. لكنه كان قد مات.

فراغ

لم يكن أبى يفرغ ليحكى لنا فقد كان يعمل طوال النهار بالغيط ليطعمني وأمي واخوتي العشرة، وكانت أمي تفرغ قليلا من شغل البيت بعد العشاء فتحكى لنا بعض "الحواديت" لكنها كانت تنام مبكرا لتستيقظ في الفجر وتبدأ الشغل من جديد.

شغف

كان جدي يقول إنني سأقوم بالحكى بعده، وكنت شغوفا بحكاياته فلم أفارقه أبدا، لكنه في يوم فارقني ولم أجد من يحكى لي، زادني حرماني رغبة في الحكى فامسكت بقلم الرصاص ساعتها وملأت كراسة الرسم بالحكايات.

تراب

كنت أغافل أبى في الغيط وأسرق بعض الدقائق من الشغل، أحكي لأخوتي بعض الحكايات القصيرة، أختلق بعضها وألملم بعضها الآخر من تراب الأرض.

رحم

عندما كنا نروى الحقل كان الماء يحكى لي بعض الأقاصيص عن رحلته الطويلة في رحم النهر فابتسم وأداعبه، أحرك يدي في أحشائه وأرش قطراته على وجهي فتلتصق الأقاصيص بلساني.

أقاصيص

عشقت أقاصيص النهر، فاتخذتها عنوانا لـــي، يــروى قلمي، فينتشي القلم ضاحكا وينثر الأقاصيص في بياض الصفحات، تحبل الصفحـــات باللقطــات فتلــد توائـــم وتجمعهم في مشاهد قصصية قد تطول.

وفاء

تشب الأقاصيص فترتحل ارتحالات مؤقتة عــن رحــم النهر لكنها لا تبتعد عن تراب الأرض ولا تتنكر للنهر، فتلتقط مشاهد لكل ما هو نابع من الماء.

آفاق

لقطات تتجمع، تتجاور، تـــتزاور، تتكــامل، تتقــاطع، تتعايش، تتنافر، تتماسك، تتباعد، لكنها لا تقطع صلـــة رحم ولا تحلق إلا في آفاق التربة والنــــهر والخضـــرة والحبر الذي لا يصالح.

مشاهد صورت وسط الآثار العريقة والتاريخ الجميـــل الذي لن يفلح الوزراء في تشويهها أو بيعها.

القلعة (١)

القلعة (٢)

١) تتسم تراب الوطن، تطيب برائحة الطين، ارتدى زي المستقبل ووجد في يديه رغبة في العزف فعزف ألحانا على ألفة بمسامع البشر الذواقة.

٢) تحاول اجتثاث طوبة من بناء قديم أو تحفة معمارية يمتلكها التاريخ، ستحل عليك لعنة الفراعنة وستلدغك الطوبة دفاعا عن النفس.

٣) تبيع التاريخ والآثار ثم "تتبجح" "بإنجازاتك" في الثقافة والفن، سيلعنك التاريخ ثم يخسف بك و"بإنجازاتك" الأرض.

القلعة (١)

هامش

تشدو، يترقرق صوتها في جنبات قلعة المعـــز، تبــوح باغنية حب جانبية لم يكن التاريخ يسلط عليها أو علـــى أمثالها أي ضوء، فالتاريخ عندما يصل إلى مثـــل هـــذه الأمور الشعبية كان يقيد نفسه في ســـجون الصمـــت.. تتعمق تلك الحياة البعيدة، وتعتنق هذه الحركة القريبـــة كأنها فرعونية هامشية، لذلك عندما يبعد عنها المصـــور الكاميرا تنظر إليه شزرا ، ثم تملأ قلبها من هواء القلعة الوسيع وتصر على المواصلة بعيدا عن الأضواء.

نسمة

في مؤخرة خشبة المســـرح تبتســـم ابتســـامة صافيـــة فضفاضة، تمسك بشعرها أحيانا لتحميه من مغـــازلات الهواء الشقية وتعزف على آلـــة موســـيقية لا أعـــرف اسمها ... تبدع النغمات في خفة ليـــس لـــها مثـــل، و تتراقص معها في رشاقة وردية، ينساب عزفـــها فـــي فضاء القلعة، تتراقص الأشجار وتعلن بحضـــور ورد

نورث وشيلى ومحمد أبو دومة ونزار قباني.. تعــزف ولا يزعج الفضاء إلا الصفير المزعج لبعــض الأولاد الـ .. خلف المدرجات، لذلك عندما يبعث لها أحدهــم قبلة هوائية في شبقية واضحة، تتوقــف عــن العــزف وتنسحب.

عتاب

سحر المغنى جمع قلوبا أليفة، لمـــها حــول النغمــات الخفيفة الساحرة، فأخذت تتهادى علـــى وقــع اللحــن المواتي.. عندما صادف اللحن ضجيج السيارات خـارج أسوار القلعة وقع على ظهره، واستدار للخلف ورجــع، فاحتضنته القلوب معاتبة.

سماعي بياتي

تنبت الموسيقى الشرقية في أركان القلعة، يبز طولـــها أشجار النخيل، يداعب أطراف مآذن الجامع المـــهيب، طفلة صغيرة لابد، لا يتجاوز عمرها السنوات الثــلاث بأى حال من الأحوال ... تقف على الكرسي، تــتراقص مع النغمات عازفــة أجمــل لحــن مازجــة التــاريخ

بالجغرافيا بعلم الجمال والطقوس الدينية المجيـــدة ....
تسرع يد عطية شرارة على الكمان، فتـــترنح طفلتنـــا
وتسقط، يبدو أن إحدى العيون رمقتها بخبث.

منا

كانت سماء المعز تكسو رؤوسنا بغلالة شفافة، تخـــرج
كل ما تموج به النفس، نجلس، منا من يجدل قصة، منـــا
من يلتقط أقصوصة، منا من يلحن قصيدة، منا مـــن ..
نملا رئتينا من هواء المعز، نغازل ســـماءه برؤوســـنا،
ونعود نتأمل فضاءه من فوق القلعة ونستمع الى السوبر
انو أو السوليت يمس شـــغاف القلـــب ويتواصـــل مـــع
مفردات التاريخ.

بجانبك

في فضاء القلعة تجد النغمات العذبة تنساب في نسيمات الهواء التاريخية، لا تحاول أن تلتفت بجانبك أو تسمع ما يدور حولك، ستجد سيدات جالسات يثرثرن مع أمور بيتية ومطبخية ونميمية، ستنتقل بكرسيك بعيدا حتى تتوحد مع النغمات، ستجد نساء أخريات يفترشن مجموعة من الكراسي عليها ما لذ وطاب، يأكلن في صوت مفرقع، ينادين على أولادهن: يزعقن لهذا الطفل، يلعن ذلك، فلا تجد بدا من مغادرة القلعة أو الجلوس في كواليس الفرقة.

"معليهش" !!

قال " معليهش النخلة عطشانة " لم أجد أي سبب لاعتذاره في مثل هذه الحالات: فليس ذنبه أو ذنبي أن الشجرة الباسقة في قلب القلعة عطشى. لكنني عندما

نظرت إليه ووجدت ابنه الصغير يخلع بنطا له ويتبــول على جذع النخلة ، أدركت أنه حاول أن يكون لبقا.

ابتسام

هل جربت أن تحتضن الأمل ؟ يا حسرتك ! إن كنــــت أتيت إلى القلعة في التاسعة والنصف مساء، كنت ستراه على كرسيه المتحرك ، صعد كل هذا المطلع الجبـــار، دار مع السراديب والمنعطفات، وتتأملـــه جالســا فــي مواجهة الجامع يتراقص مع أنغام العود ، يترنم بأناشـيد الحياة، يملأ مقلتيه من الألوان العتيقة الباهرة، ثم يلتفـت إليك مبتسما.

أصابع

هل جربت أن تكتشف خطــأ روايتــك ، أو بـــالأحرى أقصوصتك ؟ يا فرحتك ! لا تأت في الثامنة من مســاء اليوم التالي: ستجد ثلاثـــة أطفـــال يدفعـــون كرســيه المتحرك إلى الأمام ولن تجد أي أمـــل فـــي أصابعـــه الكثيرة التي يغرس بها في مؤخرات هؤلاء الصبية.

كان يمشي في فضاء القلعة تحيطه هالـــة مهللـــة مـــن الحاشية والخدم والأصدقاء المقربيـــن. وكـــان يزهـــو بالمناصب الكبيرة التي أجلسهم على كراســـيها ... أدار عينيه في المساحات الخالية من أحشاء التراث التـــي لا تقبل نقل الدم ، وأشار بيديه: " نبني هنا فندقا ســـياحيا" فهللت البطانة وانتشر الصحفيون الأصدقـــاء يمثلـــون الصحف بتلك البشارة المعجزة. فمات رئيـــس تحريـــر محترم من الغيظ وسلطة الوزير وبدأ مشهد القلعة.

مشهد جانبي

إلى طاقة صغيرة في تلك القلعة العظيمـــة أدام النظـــر وفيها دخل. سمع أنينا خافتا يمرق وأنفاسا ذابلة تسـوى. استرق النظر وجد طفلا ملقى حتـــى دون أي قطعـــة قماش.

وادي عبقر

كلاكيت أول مرة :اكتشاف

كلاكيت ثاني مرة : رؤى

كلاكيت ثالث مرة : أصداءالصحبة.

كلاكيت رابع مرة :مواقف

كلاكيت خامس مرة : خناجر

علامـــــات

- لا يصالح التقولب والعولمة " الثقافية " وتفتت اللغة.

- لا تستهويه لذة الظهور على حساب القلم البكر.

- يحمل عدسته ويلتقط المشاهد الجانبية التي لا يلتفت إليـــــها الخطاب السائد.

- يحافظ على طزاجة قلمه ونقاء حبره فلا يخط إلا ما يحســـه ويؤمن به ويرسم رؤيته.

مساء

قلت له : " كان الوقت مساء "، لم يجبني. لم يتفوه بــأي كلمة. قصصت له كل شيء، ما حدث وما جرى لــي أو لغيري، لم ينطق. حاولت أن أؤول ما حدث لكنه ظــل واجما وعندما صرخت في وجهه قـــال : " إن الوقــت مساء " وصمت.

صفحة

فتح الكتاب يتصفحه : وجد أن آخر صفحـــة هـــي أول صفحة ، فانطوى وارتعب.

صمت

لا يعشق التفتت ولا يهوى ارتحالات الحــروف...... لا يعرج إلى تضييع الجمال مـــن الصفحـــات ولا يمـــل التشكل ... لا يميل إلى الضوء المـــراوغ ولا يرغـــب ابتسار العمل... وعندما ابتسر الزمن بعـــض أكبـــاده / أقاصيصه ظل صامتا إلى أن ...

أصداء

خرج إلى شارع يستدفئ بأي أحد ... لم يجـده. بكـى وحيداً والسكون حوله يدثر الأماكن برائحة العطـن ... جاب الشوارع وارتقى المنحدرات، رافقته أقاصيصـه واحتوته الحروف والكلمات... لكنه عندما تكلم لم يسمع إلا أصداء حنين يواسيه.

بحر

أذابته في كثبان الطين العلامات المنمحية على جـانبي الطريق ... تعثر في السراديب... وعندما اهتدى إلـى علامة واضحة وجدها في عرض البحر.

" إجابة لله "

" ما الذي يجبرك ؟"، تساءل. ولد سؤاله أسئلة. لم يجـد إجابة. فماتت الأسئلة في قلبه. لكنه ابتعثها فـي دمـاء حبره.

عليه

قال : " أعزائي دعونا نصطنع السعادة "، دار علينـا ، احتضن كلاً منا. أدار في المسجل شـريطاً لموسـيقى حالمة وظل يتراقص ويبكي إلى أن خر مغشياً عليه.

عودة إلى " أصداء "

نظر إليهم. صرخ في وجههم وأدار لهم ظـهره. لكـن عندما نظر إلى الناحية الأخرى وجد غـيرهم ونفـس

البرود الذي " يفقع المرارة " فلعنهم وانكمش على نفســه في قعر الشارع دافناً وجهه في الرصيـــف / الــتراب يستنشق منه ماء الحبر.

كلاكيت ثاني مرة : رؤى

صباح

نظر إلى هناك: لم يروا شيئا. لكنه أكد : " لا بد أنــــهم قادمون ". ظنناه يقلد زرقاء اليمامة. خفــت أن تمــزق عينيه ويلقى به من فوق قمة الجبل ... عاود وقــال : " قد يأتون " فارتبت في أمره ولم ألق إليه نظرة عتــاب: أعرف أنه يمكن أن يلقى بنفسه إذا التهمته نار العتــاب ... نزل من على الجبل وتمتم : " من المحتمــل انــهم أتوا." ولما لم نر شيئا ، نظروا إليه باستهزاء وتركــوه قائما ... في الصباح وجدناه مهشما أسفل الجبل وعينيـه غائبتين.

ابتكار

ضفر الحروف جدائل كلمات لدنة: شــكل النصــوص، أفسح الفراغات، أخرج الصفحات... لكنه لما اســتهواه الضفر وجذبته أحابيل الجدل لم تعد الكلمــات لدنـــة ، فأحرق الجدائل المتصلبة وشرع في ابتكار كلمات لدنة.

تجاوز

من قاع القصة نظر لأعلى : وجد العنوان وصمة عــار على جبينها، ففار الدم في عروقه النحيلة. انطلق لأعلى فأزال العنوان ، لكن بعد أن تمزقــت بعــض خيــوط القص.

شريطة أن

قال : " شريطة أن " وذهب. ولأنني أعرف أنه لا يميل إلى استخدام اللغة الفصحى فيما بيننا من حوار حميم، ولأنني أدركت أنه يلمح إلى أشياء لم أتبينها ساعتها، تأكدت أن هناك خللا حدث بيننا ، أو أنني أسأت إليه... ذهبت إليه ... لم يرد، فتحسرت على أشياء فاتتنى ورجعت وأنا أكرر في " شريطة أن " ... لم أنتبه إلا عندما وصلت إلى البيت وسمعت صوتا يأتيني من بئر السلم : " مفيش شريطة ولا شريط ولا حتى خيط ".

شاعر القصب

جاء يزورني. لم يجدني فترك ورقة على الباب ووقع بـ (شاعر القصب)، لم أتعرفه، فعندما يجئ أحد أصدقائي يوقع بـ (المجنون) أو (لا أحد) أو (واحد لا تعرفه) أو (أنا لم آت)، لذلك تحيرت.

عندما جاءني مرة أخرى في نفس اليوم ، وجدت أنه صديقي الذي يشاركني الغرفة.

باب

لم يكن هكذا أبداً. لذلك عندما ركزت بصري عليه أدار عينيه بعيداً وجلس ظل صامتاً. ولم أشأ أن أقطع عليه مجرى أفكاره... عندما دق جرس الباب ، نهض فزعاً وقال : " ليس بيدي شيء" ومضى إلى الباب ... رددت في نفسي : " هل هذا سبب للتوقف وقتل الموهبة ". جاء من الخارج فرحاً وجاره يهنئه ويقبله ، وقبل أن أسأل ، بادرني الجار : "مبروك لقد فاز في مسابقة القصة القصيرة". نظرت إليه مغتبطاً وقبل أن احتضنه قال : " لقد كانت بيدي أشياء " ولم يصمت.

فجاة

كانت ملامحه جادة. وكانت تركب معه عربته المتهالكة يثرثران. لكنها عندما قالت له:"يا أستاذنا ، أصدرت مجموعتي القصصية منذ زمن ولم تكتب عنها شيئا" أوقف عربته فجاة وأنزلها.

حالة

" ضاعت الحالة " كررها مرتين وضجر. انفجرنا في الضحك بهستيرية متوجسة. قطب جبينه كأنه ينظر إلينا من أعماق بئر موغل في ارتياد المسافات. صمتنا للحظات. ولكي نخفف عنه أخذنا نضاحكه. فحملق فينا... بدأ يبتسم تدريجيا إلى أن ارتسمت البسمة على وجهه وأخذت يده اليمنى تتحرك في عصبية متواترة

... بعد أن حملق فينا مرة أخرى غاب عنا... أدار لنا ظهره وشرع في الكتابة.

ولا أحد

" يهذي " بقصائد مبتورة. نظراته الحائرة تصل إلى أماكن شتى. كلماته في صراع دائم مع مسامع البشر العجلى. تزايدت الحرارة حول رأسي فسقطت ... ما هذى القصائد ؟ صوت من هذا ؟ ما أوراق الجرائد هذه التي تجثم على وجهي وجسدي ؟ أرفع ورقة أجده ما زال مندمجا ولا أحد حوله.

مجيء

عندما جاء لأول مرة كان يحلم كثيرا. لم نشأ أن نحبطه، قلنا مثلا: فلندعه يعيش لحظة من عمره الذي قد يمر جد بطئي.... كنا نستمتع بكلامه ونتألم منه في آن: كان يعيدنا إلى ذكرياتنا الأولى ، ومرة أخرى إلى آلامنا الأخيرة... مبتسما دائما كان ، لا يمل الكلام أو الفعل ... بهتت ابتسامته وظل يجوب الشوارع شريدا مثلنا ، صامتا كثيرا مع ازدياد حركاته العصبية.

عندما ذهبت إلى " هناك " آخر مرة تكلمت كثيرا، حلمت أكثر ولم أذهب مرة أخرى.

خوف

قلم وحبر. ترك القلم : ألقى به تحت بلاط الحمام مخالفة أن يأخذوه ... ترك الحبر معرضا للهواء والأتربة غير الطينية وظلمة الليل وسحب الدخان... استفحل بطشهم ، استنجد بقلمه ، انسابت الدموع ، قبل رأس القلم وارتمى في حضنه.

أرض

شمعه أشعلها، غرسها في رأسه. ولم يجلس في هواء وديع. خرج بها في الصحراء والرياح والأمطار السوداء وضجيج العربات والقلوب التي ران عليها العفن.... أطفأوها ووقعت. تركت ثقبا في رأسه لم يملأه إلا جذور الأقاصيص اليانعة في أرض الوطن.

طعنات

النوم مهرب. الليل حبل طويل يلتف حول رقبته. لا تستطيع هذى الموسيقى المنسابة أن تخلصه . وما دقات الساعة بقادرة أن تعلن أنها لا تتحرك وما بإمكانها أن تمزق الحبل. تغذيه تلك الورود الذابلة داخل كتاب وتسقيه هذه الطعنات التي تلقاها غافلا. يكبر الحبل فإذا هو حية متضخمة تسعى . يقشعر لها جسده ولا تلقف هذه الخناجر التي توجه من الخلف أو هذا الحبر الأسود الذي خط في كتابهم أن يشربوا دم ذلك الأستاذ الجامعي الذي قال : " يموت الدين لو

انتكص إلى العصور الحجرية. " يتسـع فـم الحيـة ، يقترب منه ، فيرتعد ، يصرخ ولا أحد بجانبـه يناولـه كوب ماء.

هوامش على دفتر وادي عبقر

هامش أول : مقولات

هامش ثان : رطانة

علامات ليست كالعلامات

? لا تعكس مقولاته أفعاله.

? لا يقف على الأرض ولا يضرب بجذوره في الطين.

? يغرب نفسه تمذهباً بأن الغربة حضـــارة وثقافة وتقدميه.

? يرطن بلغة لا يفهمها الناس وبعد ذلـــك يشكو من الجمهور.

هامش أول : مقولات

رموز

قال: " من يأكل خبزي فإنه يأكل جسدي. " ظننته يلمح إلى أحد رموز " الكتاب المقدس" ولكنني عندما رأيته يأخذ الخبز من أمامي، ويخبئه تحت السرير أدركت أنه يلمح إلى كتاب له بدأ في كتابته.

هزيمة

قال : " أنا الملك جئت. " حسبته يقلد فريد شوقي في أحد أفلامه التي لم أرها، أو يشير إلى إحدى قصص بهاء طاهر. لذلك انتظرته أن يقول كلاماً دالاً. لكنني وجدته يحمل شطرنج في يده. تذكرت هزيمته لي ذات مرة، فنظرت إليه ساخراً وأدرت له ظهري أكمل إخراج هذه اللقطات والمشاهد القصصية، ولا أفتت اللغة.

تعب

قال : " أنا تعبان. " فشرد ونام . لكننا عندما أعددنا الأكل أصنافا وجلسنا نلتهمه وجدناه يقفز من على السرير ويتوسطنا.

لأنه

نظر إلينا. ارتسم الابتسامة وقال: " لأننا فقراء فإننا نعمل ، نقرأ ، نتعب ... " فابتسمنا لمداعبته الظريفة. وعندما نظرنا إليه وجدناه يلعق في مؤخرة أحدهم ويقول " لأننا فقراء فإننا نستجدى الأكل " ونظر أطول " ونستحلب الشرب ".

لهذه قال : "بعد أن أنشر هذا الكتاب ستدركون الأرض التي تقفون عليها. " تفاءلنا كثيراً ولكننا عندما نظرنا إليه لم نجد له أقداماً.

صمت

قال إن هذه القصة أعظم قصة في العالم. فقرأنا عليه قصة أخرى قال عنها إنها أعظم قصة. وعندما عرضنا

عليه الثالثة وقال نفس الكلام، أدمنا النظر إليه فصمت ولم يتكلم بعدها أبدا- حتى عندما كنا نطلب منه ذلك.

أنفسهم

قال أحدهم : " سأصير إليها " قال الآخر : " سأصبح عالميا" وأردف الثالث " سأمسي إنسانا " ورأيت ثلاثتهم ينجرفون من على الربوة العالية ويلقون بأنفسهم في البحر.

هامش ثان : رطانة

انكماش

كان " يمثل بعض "أشعاره" رطن كثيراً ، صفـق ...... له بعض الحاضرين. قام شخص- يقولون أن شـهرته طبقت الآفاق- وتمتم له ببعض الكلمات- قـد تكـون عبارات- وسلم عليه...... لكنه عندما ناقشه ناقد طازج انكمش في المنصة ولم نسمع صوته.

لقاء

قال : " إنني أنا " قلت : " بالتأكيد هو " لكننـا عندمـا التقينا تأكدت أنني لم أعرفه يوما.

مرارة

قال: " أجمل ما في العنب أنه مر ". وأخذ يبلع ما في حلقومـه ملتذاً. دار حول نفسه وشرع يحملـق فـي ورقـة أمامـه ، فنهضت قائلاً له: " أجمل ما في المرارة أنها مغلفة بالعنب" ثم ذهبت إلى النهر.

فسيفساء

مشهد أول : نور

مشهد ثان : نغم

مشهد ثالث : نار

? تحافظ على جذورها، ولكن لا ترفض مـــد فروعـــها ... تتمسك بذاتها ترفض كل محاولات التطبيع مع الانتهاك، ومـــع ذلك لا تتجاوز وتحلق في آفاق "عنجهية" مفتعلة ... تستجيب للرعشة الوليدة في قلبها وتحـــافظ علـــى خصوصيتـــها ذات الجذور العريقة.

مشهد أول : نور

خوف (١)

عيدان الذرة المتكتلة أمامها تحجب أشعة الحركة الناس والانطلاق. حركة الهواء الطليقة مختنقة. تمدد الهواء وحرارته يلقيان بها في دوامات من الفراغ. تشخص بعينيها. لا ترى شيئا أو حتى تشم أنوار العمر تتسرب إليها. تتراجع في ذعر: أصوات البهائم والاخوة مجهولو العدد تدور بها في متاهات الاختناق والغثيان... تتلفت حولها. بلا وعي تجد يدها تمتد إلى النخلة السامقة في شموخ، تتسلقها ببهجة جديدة عليها تلتقط، ذرات الهواء بانتشاء ... ولكنها سرعان ما تبدأ في النزول مخافة أن تكون إحدى العيون تتلصص عليها من أسفل.

خوف (٢)

عندما أعطت شعرها للريح عبثت به كيفما شاءت. لكنها لم تستطع أن تقتلعه من جذوره. دارت حولها وأخذت تعبث بفستانها.... استراحت لدغدغاتها... لكنها عندما انكشف المستور أعطت ساقيها للريح واختبأت في أحد الكهوف.

هدير

مسجونة بين جسد ذلك الرجل : يقبض عليها بفمه وأسنانه تغز فيها وتمص الدم بانتشاء. عندما يشبع يطبطب على بطنه ويتمتم برضى : " طعمها عسل ". تضمد هي الجرح ليلتئم بسرعة وتمد له جزءاً آخر منها... ينتشي... تضمد ... تمد ... يتجشأ ... يبرم شاربه ويأمر بالشاي... عندما تتأخر يهدر الدم في عينيه ويتوعد... تأتى بالشاي وهى تمسح دمعة متبقية على خدها. " بتبكى ليه. أنت إيه اللي ناقصك" ! ... " الجروح قربت تخلص على"... "أنا جوزك". فتقبع في أحد أركانه وتقرب له جزءاً جديداً... تمسح دميعة وتمد

له جزءا صغيرا متبقيا. يمتص لا يتجشأ، يبحث عن أجزاء أخرى فتمد له الوسادة ... عندما ترى عينيه تهدران تتأكد من قوة أسنانها وتتحفز.

فيرتعش

آكل لحوم البشر يتقدم إليها بخطوات ثابتة، تتراقص أسنانه الطويلة عندما يراها ترتعش. بينما يقترب منها تتظاهر بالثبات. تقف، تفتح فمها وهى تخفي الرعشة فيضطرب، يرتعش ويتراجع.

رد !!

طريق. دائرة عربة مهشمة. رجل مـــهروس وامــرأة مكسورة رجليها. تصرخ على زوجها الصريع. يرد لها الفراغ صراخها... عندما يرد الفراغ صراخها للمـــرة الألف، تصمت وتبدأ في تكسير باقي جسدها.

انفتاح

ضلفة شباك مواربة هي نافذتها علـــى العـــالم. عندمـــا تستيقظ من نومها لليوم الرابع ولـــم يعـــد إليـــها ذلـــك الشيء، تتيقن أنها حامل ، فتنهض ، تود أن تحتضـــــن كل العالم ... عندما تنظر من شباكها الموارب: تجــــد نفس الأشياء ونفس الوجوه الكالحة والضجيج اللاممـيز، فتغلقه للأبد وتستلقي على ســـريرها تســتريح وهـــى تتحسن بطنها.

بشدة

صغيرتي دلفت من الباب الموارب : تمشـــى ببطـــيء وعيناها لا تفارقان الأرض . بكت بشدة بين يدي لكنــها عندما مسحت لها دموعها انســحبت مــن بيــن يــدي وخرجت.

خروج

لما فاجأتني بطلبها الذي لا أقدر عليه ، لم أجبــها ولــم أتكلم. تركتها وخرجت ... تغيبت... وعندما عدت لـــم تطلبه. قالت كلاما يراعـــى ظروفـــي وهـــى تقبلنـــي والدموع تتساقط ولا تدرى أي مجرى تأخذه ...

ويبقى

يغازلها القمر. تلتهمه بعيونها فيحتضنها بهالة. صـــورة حبيبها مرسومة بجوارها: يغزل أحلامهما، يهديــها وردة ويسافر ... يتباعد القمر ، يبهت، تحتضن الصـــورة: تخاف ألا يجئ، ينسج أحلامهما، يهديها وردة ويبقى.

تحتي

" تركت له يدى لتنام كالعصفور بين يديه "*، هكذا قالت. جعلت يدي تجثم كالأسد فوق يديها، فتركت كفها المكسورة تحتي وانسحبت كسيرة تتقطر منها الدماء.

تهريج

بعيون مثقلة متوارية خلف تجاعيد البسمة الباهتة قالت : " هل كان كل ما بيننا تهريج". ولما لم تسمع مني إجابة ورأتني أتوارى تحت قدمي ، لم تتكلم ، فقط عادت إدراجها.

---

* من أغنية لنجاة الصغيرة.

ثـــم

سمع ضجيج الفـــرح وصـــراخ المولـــود فـــي الشـــقة المجاورة ثم نظر إلى زوجته فبكت.

لـــــما

كانت تأتيني من " العالم الآخر " : ترقص الرقصة التي عزفتها لي قبل موتها، تغنى حتى الصبـــاح وتودعنـــي بهالتها السحرية.

لما نظرت عيناي إلـــى صديقتـــها المراوغـــة بخبـــث واضطرب قلبي ، لم تأت ... وجدتها عظاما متكســـرة ورأسا متآكلة.

مشهد ثان : نغم

أسرار

تراوده رغبة في الخلود ورغبة في الفنـــاء فـــي ثنايـــا المحبوب والتطلع إلى استكشاف أسرار تكوين الكــــون والوجود. تتجلى الأسرار في عينيها وتتكشف الحقــائق. يطرح كل همومه جانبا. يلملم خيوط الأسرار ويبـــوح بها لها، فتلمع عيونها بأسرار جديدة وتتفــاعل حمــرة خدودها لتبوح بأسرار أعمق. تتكشف مكنونـــات قلبــه وتهتز جنبات فؤادها وهي تتطاير وتحط على الزهــور فتتقطر رقة وعذوبة أعذب. تتوهج في عيونها الأشــعة الدافئة فتتركز عليه وتحيطه بشـــفافيتها وانسـيابيتها ، فتتوهج أشعته وتحيط كل العالم وكل المخلوقات.

لآلئ

في ضوء القمر المتسرب مـــن شـباك الحجـرة بعـد منتصف الليل تتلألأ ملامح وجهها وبسمتها تدعو للأمل في كل شيء. السحب تتغلق على بعضها وتبهت ملامح

الصورة في يده، لكن بسمتها ما زالـــت عالقـــة بقلبـــه وبحور عينيها مليئة باللآلئ، يأتي إليه صوتها محمـــلاً بالأنغام، يرقق طبله أذنه وتنتقل الرقة إلى قلبه فيصـــير لوحا شفافا يلتقط أضعف الأنات ويبكـــي لـــها وأفـــتر الهمسات ويرق لها. ينهض من الســـرير. ينظـــر مـــن الشباك ويعطي عيونه لكل شيء في الخارج. بنهم يـرى كل شيء جميل والسماء رائعة.

رؤية

لمحتها. اضطرب قلبي، اختلطت الذكريات، هرول الزمن جيئة وذهابا .. لما اقتربت منها لم تكن هي ، فانقبض قلبي واختلجت البسمة الوليدة على وجهي.

ارتقاء

دلفت إلى شجرتهما المفضلة وجلست على المقعد بجواره. قالت : " لم أتأخر. " ثم استدركت: " لقد تأخرت ولكن ..." نظرت إلى كوب الليمون على المائدة : " لقد تأخرت فعلا." وانكسرت للحظات رفعها بعدها فارتقت مكانا عاليا بجواره. لم يتكلما بشيء.. فقط همسا، فتكلمت كل الأشياء بجوارهما.

سياق

صمت بعدما تدارك ما سيقوله ، فقط تــدارك بعــد أن أصبح السياق قادرا على تشكيل مفهوم متكامل ... لذلك لم يستطع أن يتحمل حصـــار نظراتــها المعاتبــة. ... عندما لم تتدارك وهى تمتطى صـــهوة الأحـــلام ، لــم يحاصرها بالنظرات، ولما أفاقت، ابتسم لـــها فخجلــت وانصرفت.

شفافية

ينبعث صوتها وسط ظلمة الليل وشــفافية ميــاه النيــل والأضواء الخافتة المنعكسة عليه من بعيد، فيعطر الجو ، ينتشر أريجه لتنتشي كل الآذان وترق كل الصخـــور المرصوصة على جانب النهر وأنوب في ثنايا مدارهــا. نظرات عينيها تنير القلب وتبدد كل ثقيل داخله. تبنـــى قصر الأمنيات القادمة ، فأزرع لها الأشـــجار أمامـــه، والنافورة يندفع منها الماء ورزازة يرطب الهواء فـــي حر الصيف، يهمس في حنايا الفؤاد، يـــهزنا. فأضمـــها إلى صدري وكلانا مطمئن بوجود الحقيقة معه.

عين " تبص" عليهما ، تسترق السمع للحظات ، ينطلـق صوتها مندفعا فيزعصر ذرات الهواء: يا أستاذ ممنـوع القعود على الكورنيش فصاد النادي هنا بعـد السـاعة عشرة."... فأخبئ قصر الأمنيات داخل قلبي وتحتـوى هي الحديقة والنافورة تحت رموشها.

مشهد ثالث : نار

تلاشى

وجدها محتاجة إلى نصف عمره. فقاسمها إياه عن طيب قلب... وعندما تمكنت من النصف أخذته وتلاشت.

انطلاق

" محتاجة لك" * آهتها له. فانطلق وراءها... ولما وصل إلى نهاية المطاف لم يجدها إلا سرابا.

---

* من أغنية لميادة الحناوى.

رسلها

عندما أحس أنها تقول ... لا امرأة إلا أنا فلاتتصـــرف على رسلي ، فإنه لا ملجأ منـــي إلا إلـيّ ... تركــها وذهب.

فهـم

"أذوب من شوقي في غيابي" ** أرسل لـــها ... ردت عليه ! " إنني لا أفهمك ".

تخثر

ارتمى في حضنها يداوى الجفاف بـــالنجوى. يواســى الفجوات بالنهل العذب ... وجد صدرهــا جبــال ثلــج متخثر.

** من أغنية لأصالة نصرى.

انحسار

" لبيك " قالها لها. لكنها كانت منحسرة عن شطه تلهو... عندما أتت إليه وجدته قد ذهب.

عهد

بنت وولد. كبرا. ارتبطا. تعاهدا ... سافر. بقيت. بعث لها نقوداً. اشترت فستان زفافها. بعث لها نقوداً. أرسلت له صورة عريسها.

وأرحل

تعالين واحدة بعد أخرى. فعندما تكتملن سأتغاضى عنكن وأرحل.

جيشان

كظم طاقات انفعالاته ، بتر جيشان أحاسيسه عندما وجد البرود يتدثرها. وجدها تقول له:" عندك حمى يا حبيبي" ثم رفعت سماعة الهاتف تستدعي الطبيب. فانصرف عنها أسفاً.

تماهي

ممزق بيـــن صوفيــة العشــق ورغباتــها الجســدية المتواصلة. لا تكف لحظة يسترد فيها كيانه المـــهيض وإنسانيته المغتالة. يتملص من بين يديـــها القـــابضتين عليه. ينام على حرف السرير استعدادا للتملــص مــرة أخرى ... تصطاده... تجذبه إليها. يصبح شيئا رخـــوا بين يديها. تقلبه تماما. كل ما فيه لين. فتلقى به جانبـــا وتلعن حظها العاثر وزواجها التعس.

توازي

حين ندت عنها ابتسامتها ، تبسم قلبي الطفـــل وغنـــى: أوحى القصائد، ارتجل الأقاصيص، خلـــق الكلمـــات ، شكل الأضواء والخيوط والظلال. ولم يستطع أن يشـــكل الحدود.... ولكنها حين ندت عنها كلماتها ، مزق قلبـــي الخيوط ، عتم الظلال، سود الأضواء، نسج الأقاصيص ولكنه لم يستطع أن يعثر على الكلمات المناسبة. فقـــط استطاع أن يصور المشهد الثالث: مشهد النار.

داخلي

أوتارها تعزف ألحانـا واعـدة. انسـيابيتها وتنسـمها يجعلاني أهفو إليها فيتشربان أفكـاري ويذوبـان فـي وجداني ... يجب أن أفاتحـها وإلا انفصلـت أجـزاء مبعثرة: يا حقيقة الحقيقة ، هل أن لبحـور الحـب أن ترفع مياهها سحبا فتساقط على قلبك تذيبه ، أم سـتظل روحي ممزقة بين بريق عينيك وجفاء قلبك ".

– معناه إيه الكلام ده. أنا مش فاهمة أي حاجة مبحبـش الفلسفة ".

وقتها انزويت في أحد أركانى ونظرت داخلي ، أحتمـي من النار التي أوشكت أن تسطو على.

لعنـــة

ترتئين ارتسام الحقائق في لوح مفتوح ؟! يخضع كـل التيارات ؟! يضم كافة المسميات؟! تحصرينها في كلمـة واحدة هي اسمك؟! ... هربت من هجير ظلك، انطلقـت خارج أسوارك وتصرين على أن اللوح ما زال معـك وأنك ما زلت قادرة على رسم كل شئ تستبيحيه... مـا

صدت احتمل الحصار ، ولا تحتملي الضـــوء. ســيدتي

إنك ملعونة.

متاهـــات

متاهة أولى : مبتدأ.

متاهة كابوسية : منتهى.

كلاكيت آخر مرة : تتشكل.

علامات

- يحاسب نفسه بعد كل فعل أو عمل.
- لا يصالح.
- يحاول تشكيل رغبته ومستقبله في فعل يؤدى إلى عمـــل راس.

يغترب بسبب لقمة العيش أو لرغبة في صنع مستقبل يجمـــع بين الماضي والحاضر وما هو آت.

متاهة أولى : مبتدأ

إظلام

بنت جالسة تهذي. ولد يتلوى ويتشنج. امــــرأة عجــوز تشحذ لقمة عيش وحبة ملح. رجل بجانب عربته الفخمة يغرز حذاءه في عنق عسكري. ووزيــر ثقافــة يبيــع الآثار لتاجر خردة...نظرت إلى اللوحة مــرة أخــرى. وجدت بعض الأماكن قــد تــم تبادلــها وأن الصــورة ازدادت إظلاما.

عرفة

"عرفة"* مازال يبحث عــن "الكراســة" وســط أكــوام الزبالة. يقلب الأكوام. يمسح عرقه المتشــرب بالغبــار ويعود يقبلها مرات أخر. الزبال ينظر إليه ويضحــك ، ثم ينظر إلى ابنه الصغير الجالس يأكل في " ســندوتش" ويضحك. بعد أن تهدأ ضحكاته يعــود إلــى كركــرة الشيشة، يزفر الدخان تجاه عرفة باستخفاف فابنه بــاع الكراسة لبائع الفول بسندوتش وحبة ملح.

---

* أحد أبطال رواية *أولاد حارتنا* لنجيب محفوظ.

إلى أولها

نظرت إلى كل تلك المجلدات من الكتب وقلت متى أستطيع أن أقرأها كلها ...أنظر إلى ساعتي بعد أن أنهيت قراءتها توا ، لا أرى لها عقارب. أفتح النافذة ، تصطادني خيوط العناكب ، لا أتبين الليل من النهار ولا بأي المدن أنا. أقف أمام المرآة : أشك في معرفة الماثل أمامي، فأمسك "كل تلك المجلدات" وأبدأ قراءتها ثانية ولكن من آخر صفحة إلى أولها.

تعامد

يحاول أن يفك رموز تلك الخيوط المتعامدة على بعضها والعينيين الملتصقتين اللتين تنظران بجمود من أمامها. لا يجد تفسيرا. تجسم الخيوط على صدره، والعينان تضغط بحذائها على أسفل بطنه وتبصق على وجهه. ينهض فزعا وهو يستعيذ من الشياطين.. يفتح عينيه، يحاول أن يضئ النور، لا يجد مفتاحا إلا بعض الضوء المتسرب خلال الباب من ردهة عميقة بعمق سرداب متجذر في بداية التاريخ. تتسع عيناه فأسياخ متعامدة على الباب وتطل منها عينان ملتصقتان.

عندما سمعت صوته في التليفون لم أصـــدق: فلــم أره أو أسمع صوته منذ عشر سنوات وأربعة شـــهور ويوميــن. لكنه كان هو ونفس نبرة الحزن التي ازدادت قليلاً واتخذت أبعاداً أكثر...كانت المسافات تبعد بيننا وظننت أن كل شـئ قد تغير وأن ما كان بيننا قطعـــة الزمــن أو المــوات أو الشياطين ......

عندما انداح الكلام بيننا، أحسست بنفسي الدفء القديـــم وأن شيئاً ما كان يبعده : لم أدرك هويته ولم أســـتطيع تحديد مستوياته. وقبل أن ينتهي كلامنا أو نتفــق علـــى شيء قال :" هربت، نسوني حتى أسمى، أنا بموت يـــا جمال" وانقطع الخط. ناديت كثيراً. لم يرد أحد. زعقــت سمعت صوت رصاص من علـــى الجــانب الآخــر. فوقعت السماعة من يدي وهويت.

متاهة كابوسيه : منتهى

دفء

أياً كان مسلكه فإنه بحث. جاب البلدان واستعر، وأى مكان لم يكون له مستقر.....فعاد – لكنه لم يحس بالدفء.

متتالية أقصوصية

١- انتظار

آب من غيبته مظفراً. نظر حوله. وجد نفس العلامات ونفس الوجوه ولا أحد ينتظره.

٢- كشف

فتش في كل الوجوه. لم يتعرف عليه أحد. كشف عن هويته فقالوا له :" إن من تتكلم عنه كانت الجدات تكلمنا عنه في الحواديت".

٣- قرار

ذهب. قرر ألا يعود...

عودة

ذهب إلى هناك. استقر لبعض الوقت. تشعبت سـواطين الغربة فيه وتمكنت من روحه، فهجمت على ما تبقـى منه...فرجع ، لكنه لما عاد إلى بلدته لم يرتعـش ولـم ينفعل - وما همدت السراطين.

سفر

لما عاد من سفره ، جرى إلى والدته يقبل يدها...أحـس ببرودة. نظر إليها وجدها جثة هامدة.

بجواره

جلس على الكرسي. الكل يتراقص حوله ويبارك. نظـر بجانبه لم يستطع أن يتعرف علـى الجالسـة بجـواره تبتسم.

سقوط

آوى إلى جذع نخلة يهزها. فتساقط عليه ثعبان نهشه.

اليوم

اليوم المنصرم يتألم لعدم جدواه. وسط نيران المتاهـــة الكابوســية: يصــرخ، يقــدر ألا يجــئ إلا إذا كـــان مخلصا..يأتى، يصرخ، يقدر ...يأتى، يبكى..يقـــرر، فيضاجع النهر وينتحر.

كلاكيت آخر مرة : تشكل

رغبة

تتشكل داخله رغبة في الفعل. يومــض قلبــه بــبريق. يمسك ورقة ويخطط أشكالاً. يضــرب أرقامــا، يعيــد حسابات مضت وحسابات ســتجيء، تتــوارد صــور وخيوط تتسلل أمام عينيه لا نهائية البعد، تلتــف حــول رقبته، تمتص كل الهواء وكــل الحــبر، تجفــف كــل شرايينه فتنطفئ الوهجة في قلبه ويبدأ في مسح كل مــا خطه.

أهداب

مجروح القلب، متثاقل الههم : لا يســتطيع أن يجمــع ملامحه التي بدأ يفقدها في لحظات، تهاوى بعدها كــل شيء. يحاول أن يتمسك بأهداب أى شيء يرضى بــه نفسه ويقنعها. يجد أن محاولات الإقناع غــير مقنعــة. يمسك القلم ويسكب دماء جروحه الملونة ، ويبــدأ فــي تشكيل ملامح حبيبته، فيجد صورته تحــاول التشــكل بجوارها ، حلما بيوم قد يجيء.

بحث

المرآة مشروخة. ينظر فيها، يرى رقبته واقعة بين الشرخ، يحاول أن يسحبها: فتهاجمها الجروح من كل مكان. يتخضب جسمه بالدم المتسارع. بكل ذرة في جسده يحاول التملص، تتزايد الدماء، فيثبت على حاله، يفكر: ماذا لو توغل في المرآة وتجاوزها ، مخلفاً وراءه الشرخ وباحثاً عن مرآة أخرى.

اطمئنان

دائر بين تشيؤ الأشخاص وتشخيص الأشياء ، يبحث في بحر عيونها عن أشياء علها مازالت موجودة: يخاف أن يجد الغد مقتولاً في عينيها وبسمة الطفل على شفتيها باهتة مفرغة من المعنى. تفزعه نظرة الخوف والانكسار في عينيها..يغوص أكثر في بحر النظرات يجد القاع هادئاً ويدها ترتب على يده تطمئنه.

عروض لا
منتمية * للقلعة

---

* لا يوجد هنا أي تناص أو تماس أو تقاطع مع أن "فلسفة" وجودية.

□ يستغل "الأحلام الصغيرة" للبشر ويحولـها إلى وهم كبير.

□ لا يعكس ما هو مستقر في أعماق الجماهير.

□ يخرج عن بشريته واحساسه ويعزف نشازاً دميماً.

□ يحاول استدرار الإعجاب أو الإطراء.

□ يرتضي لنفسه أن يسجن في دور الكورس ولا يخرج إلى الآفاق الرحيبة التي تعبر عنه.

مخرج

السفر مسرح كبير. كل البشر يودون التمثيل. تراودهم أماني في التألق. يقف المخرج على باب المسرح. يختار أشخاصاً قليلين. يلعنه الباقون ، فيبتسم لهم ابتسامة صفراء. ينادى عليهم. يتهللون. يأتي بعمال المسرح. يجعلهم يسحبون كل الواقفين ويجلسونهم على

المقاعد كي يشاهدوا المتألقين..يتململون في مقـــاعدهم عندما تغرس الأضواء في قلوبهم الخوف. فيحـــاولون الخروج : يجدون كل الأبواب مغلقة والحراس عليـــها أسلحتهم مصوبة.

آلات

حشرت الجماهير من كل الأماكن. جلسوا صامتين فـــي لحظة عبقرية..لكنهم انصرفوا بعد أن اكتشفوا أن مـــا أمامهم على المسرح آلات موسيقية فقط - آلات علـــى كراس ولا أحد يعزف.

فاصل

بعد انتهاء العرض الأول ، جلسنا. في منتصف الفاصل تململنا. نظرنا إلى ساعاتنا : كان الوقـــت جـد بطـئ وكانت العقارب مربوطة بالسلاســـل. قبـل أن ينتـهي الفاصل كنا قد خرجنا إلى الشارع فوجدنا المعـــالم قـد تغيرت.

جمهور

جاء العازفون بعد انصراف المشاهدين. عزفوا لبضع دقائق. بعدها حطموا آلاتهم وانصرفوا وراء الجمهور.

هروب

حرك يديه واستدر تصفيقة من المشاهدين...بعد أن حرك يديه للمرة الألف كانت الدماء قد نفرت من أيدي المشاهدين. وكان كل أفراد الفرقة قد هربوا.

تساؤل

وقفن منهمكات تماما في خلفية المسرح : من تصفف شعرها ، من تزجج رموشها ، من تطلى وجهها، ومن ... في صمت كن.. تساءلت عما يفعلن ، ولم استوعب الدرس إلا عندما رأيتهن أفرادا للكورس.

"أشتات مجتمعات"* في القص والأقاصيص

شتيت أول : لقطات حذفتها الرقابة في المونتاج

شتيت ثان : هوامش على تنور

" نار" شتيت ثالث : ن ك ر

شتيت رابع : ف ر ق

---

* جزء من عنوان كتاب قيم لأستاذنا العقاد: ***أشتات مجتمعات في اللغة والأدب***.

علامـــــات

□ يعبر بطزاجة عن بشريته ولا يعبأ بالصورة آلتي يرســـمها الناس عنه.

□ لا يجد أبسط الحاجات ، لا يمد يده إلى ما في يد غـيره ولا يشب عن طوق ضميره.

□ تحاول أن تحافظ على حبك لأب تركك وارتحل إلى جمـــع المال ونسى أن يجمع حب أفراد عائلته ورعايتهم ، أقول لـــك أنك تحقق معجزة.

بنت

ارتمى على ظهره من الضحك واسترخت يداه حول الفأس فكادت أن تقطع قدم أحدهم وهى تتفلت منه. لم ندر لماذا يضحك. فقد كان ما نتكلم فيه مأساة : بنت عم طرطور وضعت وهى لم تتزوج. لكنه عاد بعد قليل وقال : "هل مريم بعثت على الأرض ؟". لم نشأ أن نبصره بأشياء قد تكون طبيعته في غنى عنها. لكنه عندما قال : "هل هي صوفية ؟" سخرنا في وجهه. فتقطب جبينه وأضاف : "هل ترتاد الجلسات الصوفية ؟". عند ذلك صمتنا ولم نستطع أن نرفع أعيننا في وجهه. بعدها أمسك الفأس وبدأ في "العزق". قال أحدنا "ليت فأسك قطعت قدمي" ولم نطق أن نتواجد معه فتركناه واسترجعنا.

الجبلاوى

"الجبلاوى"* جالس في الحديقة..يندفع كلب مسعور وسط الحارة .. يتوارى أهلها خلف الأبواب ! بعضهم يستغيث بالجبلاوى ، بعضهم يقذف الكلب بالحجارة من النوافذ والسطوح .. ينطلق الكلب خارجاً إلى "الخلاء" وهو يدمى ، فيسرع الجبلاوى إلى غرفته ، يتوارى ويغلق الباب بإحكام.

قراءة

لعن كل العالم ولم يستطع النوم. التوى من تمزق معدته، بكى، خاطب أشخاصا غير موجودين: "عاوز آكل". لم يجبه أحد، ولم يسمع بكاءه أحد...عندما لم يطق صبراً ، حاول أن يستفيد من قراءته للتراث، فأوقد ناراً ووضع عليها قدراً ملأه بالماء...وظل بجانبه ينتظر أن ينضج أكلا ...لكنه سخر عندما لم يجد نفسه قد نام.

---

* الجبلاوى البطل الخفي الظاهر في رواية *أولاد حارتنا* لأستاذنا نجيب محفوظ.

طفل مشوه

الأب يلهث ، متصلب الشـــرايين، الأم تتــأوه، تتــألم. جدرانها مشققة، يندفع ..يخرج بطفل مشوه.

سد

في الهواء الطلق فوق خشبة المسرح، ملأ رئتيـــه مـــن عبق التاريخ.

في الهواء الطلق تحت الأضواء الكاشفة ، امتلأت أنفـــه برائحة المقابر.

في الهواء الطلق وسط المدرجات، امتلأ كلـــه برائحـــة الفراغ.

في الهواء الطلق خلف السور، سد به فراغ في التاريخ.

تلمظ

انشوى في زيت البعد وتقلب على نيران الذكرى. لكنـــه لم يستطيع أن يحدد من سيأكله: ما عاد يؤمـــن بـــآكلي

لحوم البشر، حتى لو آمن فنفي أن يأكل أحد العظام التي صار إليها..

عندما دق جرس التليفون، رفع السماعة : شم رائحة توابل وسمع صوتا يتلمظ.

رؤية

أخذ نفسا عميقا وزفر : "لن أرى أمي في العيد". كنت أحس به فصمت. عاد وأضاف:" لم أرها منذ سنين ". نزلت دمعة من عيني حاولت أن أخفيها. فربت على كتفي. التهم مبسم الشيشة وتوجه إلي :" اذهب إلى أمك استسمحها." فبكيت وتجمدت قدماي. ألح على وقال أنه يستطيع أن يحتمل الحزن لوحده. فما كان لي بد من أن أفشى سرى : " لقد ماتت أمي حديثا".

فرن

أبوه كان في " بلاد الغربة " مازال ، وأمه كانت تحاول أن تدفئهم بجانب الفرن في ليل العيد البارد/ ين. تساءلت أخته :" فين أبويا ". احتضنتها أمها وقبلها

أخيها :" هنجيبلك هدوم العيـــد". اقــتربت مـــن النــــار وصرخت : " أبويا فين !!! "

شتيت ثان : هوامش على تنور " نار"

إلى

دون معرفة متوطدة معها ، أتت لزيارتي فــي شــقتي. تلعثمت عندما رأيتها وقبل أن أدعوها للدخول ، دخلــت وظلت تتغنج وتتدلل. أمسكت يدي. وحاولت أن تقودنــي إلى غرفة نومي. سحبت يدي وقبل أن تفتعل الولولـــة كنت قد هرعت إلى الشارع.

توهان

شوهتها وشوهتني. وعندما أدرك كل منا أبعاد موقفـــه تماماً ، كان كل منا يبعد ملايين الأميال عـــن الآخــر. لذلك ظللنا صامتين. ولـــم يحـــاول أحدنـــا أن يتصـــل بالآخر... عندما حاولنا أن نتواصل ، كانت عناويننا قــد تغيرت ، فتاهت *الجوابات* وظلت تجوب بلدان العـــالم. ولما أبدع فيها المشيب بدائعه ، كانت مكرهـــة علـــى *التوهان* في الصحراء أربعين عاماً.

تصور

في البدء كانت هي وكنت أنا.

في الوسط كنا نحن.

في المنتهى هكذا *تصورنا*.

شتيت ثالث : ن ك ر

البلدان

كان يسأل عن أحدنا وكنا نزوره المرة تلــو المــرة ..
كان يسأل عن بعضنا وزاره أحدنا مرة ...كان يســـأل
عنا وكنا قد تشتتنا في البلدان.

مصافحة

التمس العذر وصافح. حسب عادته في تلــك الأحــوال
قبل يده ، فالتصق السم بشفتيه: تآكلتا.

لا أحد

فرحاً طار، وفرحاً هرع إلى شقة صديقه التي عـــرف
عنوانها حديثاً. دق الباب وما هو بمستجيب. صمـــت.
وبعد لحظات طالت انفتح ، فرآه ينظر ببلاهــة معتمــة
... ولأنه أدركه يرتضى الوقوف على الباب هكذا، لــم
يبله مثله بل فتح ذراعيه على مصراعيهما ... فشرعت
البلاهة في التهجم ثم الاستنكار ثم القول: من أنت ؟!!!

وهنا صمت " الصديق " للحظات ثم قـــال : " لا أحــد"
وانصرف.

شتيت رابع : ف ر ق

الآيات

نفق، طفل كبير، جلبابه متسخ، فاتحا حجره يقرأ آيـــات القرآن ويمد يده. يعطيه شخص بعض النقــود... يمــر بجانبه عشرات الأشخاص ينظرون إليه باحتقار ! يعلـى صوته في " القراءة ". يغير في نغماته. يسترخم صوتـه وتفقد الأحكام أوزانـــها ... عندمـــا لا تمتــد إليـــه ... الأيادي، يسب القلـــوب ...القاسـية. يخــرج مكعـب الشكولاته من جيبه وينصرف وهو يأكل بتلذذ.

تزويد

بجانب النهر على الضفة الأخرى أسكنه. زوده بكل مـا يحتاج. علمه الغرس ورحل عنه.

لما عاد وجده يكتب بعض الأبيـــات الخليعـــة ويرســم بعض الصور التي لم ينظر إليه ، فغضب ولكنــــه لــم يأسف.

المدعو

كان يدير في المسجل شريطا لرجل يدعى " بليه " ويتراقص. كان يدير في المسجل شريطا لرجل يدعى " مسمار" ويتشنج ، كان يدير شريطا لرجل يدعى "ياسو" ويتهستر. لا يدير أي شريط ويشل.

ليتعرض المكان للشمس ؟!!!

انخرطت ثمار الشجرة ، شبعوا منها ، تكورت بطونهم. ثقلت أجسادهم فناموا فوق الثمار...في الصباح وجدوا المكان ملوثاً بالثمار وفضلاتهم فاجتثوا الشجرة ليتعرض المكان للشمس.

ف ر ق جانبي

نظر إلى الشجرة العالية. اجتذبته أغصانــها المتشــعبة تعاند الصمت وتخاصم السكون. صعد إليها. فصمتــت العصافير وانطلقت هاربة من أعشاشها.

عدســـــة
قـــــريبة

عـــلامـــــــات

- النهر الوقور صبور.

- الصياد يحاول أن يكفـــي متطلبــات أسرته وما اقتصاد السوق بتاركـــة " في حاله ".

- يتمسك بطبيعته ولا يستجيب للوعـــود الأنانية.

استشاطة

استشاط النهر المقنع بالآلام وبهت ، فمخلفات " الأفراح " تتراكم في بطنه وتزغرد.

مساء

ابتسم النهر العجوز وقال : "مساء الخير عاشقي ، مساء الخير محبوبي". غمرتني الفرحة وجريت إليه احتضنه ، وجدت الماء قد غاص ووجدتني أرتطم بالصخور و "مخلفات الأفراح".

عبوس

كان الصياد يخرج من النهر مبتسما. يلقى السلام ويجرى إلى السوق. ثم يهرع إلى أولاده مغتبطا.

يخرج الصياد من النهر عابساً. لا يلقى السلام ، لا يجرى إلى السوق ، وأيضا يمل الرجوع إلى أولاده بهذا الوجه.

لأي شيء

كان بعد أن ينهي عمله بالصيد ، يرجع إلى أولاده ثم يعود إلى النهر. ينزه من يرغبون في قاربه الصغير. وكان القارب يكفي ملء كل الأفواه الكثيرة.

الآن تضاءلت الأفواه. لكن القارب ما عاد يكفيها وما أصبح صالحا لأي شيء.

إيقاف

يا نهري المسافر عبر تيارات الزمن

يا نهري الآتي وسط منحدرات الحزن

يا نهري الواصل إلى اهتزازات الخريف

أما آن لك أن توقف الزمن

رد على النهر مبتسما وقال:

"ليس الزمن بزمان وما مكان هناك ابتسار".

ولم

هل آن لك يا بحر أن تلطف وقع هديـــرك الصـــاخب!
ردت على موجة منكسرة على صخرة تحت قدمـــــي :
"هديره يخلقني ، يديم حياتي، يخلدني. " فربت عليـــها ،
ألقيتها في عرض أبيها ولم أطلب منه أي شـــيء بعــد
ذلك.

إشراقـــات

علامـــــــات

- يقاوم قوى الظلام حتى الموت

- يتصدى للبطش والجبروت

- يحاول أن يقضي على تضخم الذات وبعدها عما هو قـــار في النفس ، حتى لو اتخذ هذا القضاء شكل التضاد مع نـــص أدبي لا حول له ولا قوة، صدّره صاحبه إلى النفوس الضعيفـة وظل هو يحيا حياة طبيعية

- يحاول أن يغرس شجرة في صحراء

- يستجيب لأي بارقة أمل تبزغ أمامه.

الغناء

عندما أعلى صوته بالغناء ، كانت الأشجار تـــتراقص في عنان السماء وتراقص النجوم والبحر يموج ويـــهدر ، يزأر ثم يعوي فتهوى السكينة فـــي رقبـــة صاحبنـــا ...لكنه مازال يغنى.

التصدر

أسلم ظهره للريح فانكسر. لكنه عندما أعطى لها صدره انتصر.

الاجتثاث

ذهب إلى قارعة الطريق للمرة ... وجد نفس الشـــجرة الجرداء ونفس الرجلين* جالســـين يـــثرثران فاجتثـــها وطردهما.

---

* بطلا " مسرحية *في انتظار جودو* لاستاذهم المعتوه صموئيل بيكيت.

الفك

يا أيها الطير المحلق في العلا أمـــا آن لـــك أن تبطـــئ الخطى ؟

رد علي وقال:

يا أيها البشر المكبل في الحصى ألم يئن لـــك أن تفــك القدم؟

الفض

النهار بدأ يفض بكارة الليل ، توغل داخله ، تـــاه فـــي السراديب ... لدغته حية ولكن بعد أن أضـــاء ســـرداباً وقتل حيات.

الشجرة

شجرة الليمون جافة أفرعها. يجلس تحتها بنايه : يقطـــر دماء قلبه في الحانة الحزينة...تتجمع العصافير علـــى الشجرة .. تشجو معه .. تكون لها كورالاً وتتناثر علـــى الأغصان ، فيملأ جردل ماء ويسكبه تحت جذورها.

إشـــــارات